



خطبة صلاة الجمعة 22 / 5 / 2020 للشيخ الطبيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

(ثُمَّ اسْتَقَامُوا)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليته، خيرُ نبيِّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كرهه، اللهم صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أما بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإيائي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

عنوان الخطبة: ثُمَّ اسْتَقَامُوا.

قال الله تعالى في سورة فصلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (30) نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ (31) نَرْزُقُكُمْ مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ (32) وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (33)﴾ [فصلت: 30 - 33].

أيها الإخوة:

في الآية وقفاتٌ كثيرةٌ أقف معكم على أربعةٍ منها:

الأولى: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾، أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ، قَالَ: «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمَ».

وَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَخْطُبُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾
فَقَالَ: (اسْتَقَامُوا وَاللَّهُ عَلَى الطَّرِيقَةِ لِبَطَاعَتِهِ، ثُمَّ لَمْ يَرْغُوا رَوْعَانَ التَّعَالِبِ).

وقال الحسن: (اسْتَقَامُوا عَلَى أَمْرِ اللَّهِ فَعَمِلُوا بِطَاعَتِهِ وَاجْتَنَبُوا مَعْصِيَتَهُ).

أيها الإخوة:

غداً أو بعد غد ينتهي رمضان، والمتوقع من كلِّ مَنْ أَقْبَلَ عَلَى اللَّهِ فِي رَمَضَانَ أَنْ يَدُومَ عَلَى ذَلِكَ بَعْدَهُ، فَتُسْتَقِيمَ أَعْمَالُهُ بَعْدَ رَمَضَانَ كَمَا كَانَ فِي رَمَضَانَ أَوْ نَحْوَهُ مِنْ ذَلِكَ.

والمراد باستقامة الأحوال: (ترك الحرام، وإتقان الفرائض، وأداء ما استطعت من النوافل، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر)، ولعلَّكَ تنسى يوماً أو تُقَصِّرَ يوماً فلا بأس، ولكن اذكر استقامتك في رمضان واعمل مثلها أو قريباً منها.

ولأنَّ الاستقامة حال الصائمين في رمضان وبعد رمضان قَالَ سَيِّدُنَا أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا فِي تَفْسِيرِ الْقُرْطُبِيِّ: لَمَّا تَرَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هُمْ أُمَّتِي وَرَبِّ الْكَعْبَةِ».

الاستقامة أن تلتزم طريقاً واحداً طريق التقوى، وأن تستمر في جهةٍ واحدةٍ من غير أخذٍ من جهة اليمين أو اليسار، تماماً كالخط المستقيم؛ يستمرُّ في جهةٍ واحدةٍ، هذه الجهة هي جهة امتثال أمر الله تعالى واجتناب نواهيه.

أخرج الدارمي عن عثمان بن حضير الأزدي قال: دخلت على ابن العباس رضي الله عنهما فقلت: أوصني، قال: (عليك بتقوى الله والاستقامة).

الاستقامة أربعة أنواع: استقامة أزمنة، واستقامة أمكنة، واستقامة أحوال، واستقامة موضوعات، (زمان ومكان وحال وموضوع).

والمراد باستقامة الأزمنة أن تكون في شوال وذو القعدة وذو الحجة وباقي الأزمنة شبيهاً حالك بحالك في رمضان.

وأن تكون يوم السبت والأحد والاثنين وباقي أيام الأسبوع شبيه حالك بحالك يوم الجمعة.

والمراد باستقامة الأمكنة أن تكون خارج المسجد قريباً حالك من حالك في المسجد.

والمراد باستقامة الأحوال أن تكون ملتجئاً إلى الله في صحتك كما في مرضك، وفي قوتك كما في ضعفك، وفي غناك كما في فقرك.

والمراد باستقامة الموضوعات أن تكون في معاملاتك المالية منضبطاً بالشرع كما في عباداتك الشعائرية، وأن تكون علاقاتك الأسرية منضبطة بالشرع كما هي صلاتك وصومك.

هناك تنزل عليك الملائكة ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزُنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (30) نَحْنُ أُولَئِكَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ (31) نُزُلًا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ﴾ فيا طوبى لك.

الوقف الثانية: قوله تعالى: ﴿تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾.

لماذا قال القرآن تنزل ولم يقل تنزل؟

الجواب في تكرار التاء، دليل على تكرار التنزل، ومثل ذلك قوله تعالى في سورة السجدة ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ دليل على تكرار التجافي.

فليهنأ أهل الاستقامة بعد رمضان بتكرار تنزل الملائكة عليهم في الدنيا والآخرة.

قَالَ وَكَيْعٌ وَابْنُ زَيْدٍ: (البُشْرَى فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ: عِنْدَ الْمَوْتِ، وَفِي الْقَبْرِ، وَعِنْدَ الْبَعْثِ).

1- عند الموت: في أخطر لحظة في حياتك. أين سيذهب بك؟ مع من ستكون هناك؟ ستكون الملائكة لتطمئنك.

2- وفي القبر: حيث لا جليس ولا أنيس إلا العمل الصالح.

3- وعند البعث: إذا كان يوم القيامة قالوا لهم: لا نفارقكم حتى ندخلكم الجنة.

ففي هذه اللحظات الحرجة الخطرة تنزل الملائكة على أهل الاستقامة، على من دام حاله بعد رمضان قوياً كما كان في رمضان أو قريباً منه.

وإن كان تنزل الملائكة أوسع من هذه المواطن الثلاثة وأكثر، لأنَّ الملائكة تقول لهم: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، فمعناه أنها تنزل عليهم وهم في الحياة الدنيا، والله أعلم.

الوقفه الثالثة: قوله تعالى: ﴿أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾، ما الفرق بين الخوف والحزن؟

الخوف: هو ألم القلب لتوقع مكروه في المستقبل.

والحزن: هو ألم القلب لتذكُّر مكروه في الماضي.

الخوف ألم من أمر مستقبلي، الحزن ألم من أمر مضى.

تقول: أنا خائف من الرسوب هذا العام، ألم لتوقع مكروه في المستقبل؛ الرسوب لم يحصل.

وتقول: أنا حزين على ما فرطت في جانب أُمِّي، الحزن ألم على أمر فعلته في الماضي.

أمَّا أهل الاستقامة فلا خوف عليهم في مستقبلهم، ولا حزن يصيبهم على ما مضى،

﴿وَأَبَشِّرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: 30].

الوقفه الرابعة الأخيرة: بعد آيات الاستقامة جاء قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا

إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: 33].

وكأني بالقرآن الكريم يُخاطب الدعاة جميعاً، والأميرين بالمعروف والناهي عن المنكر ليجتهدوا

في الاستقامة على أمر الله، لأنهم القدوة للناس، إن استقاموا استقاموا وإن مالوا مالوا.

أيها الإخوة:

في سورة هود بعد أن قصَّ القرآن على سيدنا محمد ✕ قصص سبعة أنبياء إبراهيم ونوح وهود وصالح وشعيب ولوط وموسى عليهم السلام قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (II2) وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿[هود: 112، 113].

في دلالة واضحة أن درب الأنبياء هو درب الاستقامة، وأن الاستقامة يعينك عليها صحبة الصالحين وعدم الركون لصحبة الفاسقين الظالمين .

فالحاصل: أن المطلوب من كلِّ منَّا بعد رمضان الاستقامة على أربعة:

ترك الحرام، وإتقان الفرائض، وأداء ما استطعت من النوافل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويعينك على ذلك لزوم الصالحين في مجالس العلم، والذكر، وهجر الطالحين.

واعلم أن الاستقامة سبب سعادتك ورفعتك في الدنيا والآخرة.

والحمد لله رب العالمين